زوجة ماكدونالد

يعتقد عارفو المستر رمزي ماكدونالد رئيس الوزارة البريطانية الحاضرة . والمطلعون على حياته المنزلية . ان فضل زوجته وحده هو الذي رفعه الى ذلك المقام السامي واوصله الى المنزلة العظمى التي نالها .

عرف المستر ماكدونالد (الآنسة مرغريت ايثل غلادستون) التي غدت زوجته بعد ذلك . خلال انتخابات سنة ١٨٩٥ وكان اذ ذاك فقيراً خامل الاسم اما تعارفهما فقد كان غريباً في بابه ، فقد ذهب المستر ماكدونالد الى مراكز حزب العمال ذات يوم ، فوجد رسالة معنونه باسمه ولما فضها وجد فيها خطاباً رقيقاً من شخص مجهول يشجعه على العمل للفوز في الانتخابات ووجد في الرسالة مبلغاً من المال قدم اليه من قبل كاتب الرسالة لينفقه في ترشيح نفسه .

واقدم ماكدونالد على ترشيح نفسه في تلك الانتخابات ، وجد كثيراً ، وبذل جهوداً جمة ولكنه فشل ، واصيب على اثر فشله بمرض الزمه الفراش . وتلقى وهو في مرضه رسالة اخرى من الشخص المجهول الذي لم يكن الا زوجته المستقبلة .

كانت (مرغريت غلادستون) ابنة استاذ معروف وقريبة العالم الشهير اللورد كلفين ، وكانت اشبه شيء ببنات الفلاحين الا انها

كانت تشارك ماكدونالد في مبادئه وآرائه .

واجتمع ماكدونالد ونصيرته . وتعارفا ثم تحابا وتزوجا سنة ١٨٩٦م وسكنا بيتاً صغيراً عاشا فيه زمناً طويلا ، واطلقت الزوجة يد زوجها في التصرف بما تملك واعانته على القيام باعماله ؛ وشجعته على الاقدام في مشروعاته ، وبذلت كل ماتستطيع من قوة في سبيل انجاح مساعيه واعماله .

وكان يؤم منزلهما الصغير كل يوم عدد لا يحصى من اشياع زوجها ومريديه ، فيجدون لديها كل ترحيب ورعاية . وكان منزلها كعبة يحج اليها كل الشبان المتحمسين الراغبين في اصلاح البشر على اختلاف اوطانهم وبلدانهم و كان زائر ذلك المنزل يرى فيه اشتراكيين من هولندة والجزر الانكليزية ، وادباء كبار من ايطاليا ، وفوضويين من روسيا ممن قضوا في سبيريا سنين طويلة في سبيل الحرية ، وكانوا جميعاً يجتمعون في غرفتين صغيرتين تغطى جدرانهما رفوف الكتب ، فيتباحثون في امر كل عظيمة ، و كانت مضيفتهم التي تسهل لهم اجتماعاتهم ذات لطف عظيم ورقة وجمال ، لا تسمع بان مصيبة حلت باحد الا اسرعت اليه ، وتقدمت لمساعدته بما تستطيع وقد كان اعظم ما حببها بماكدونالد فصاحته وقوة عارضته ، واخلاصه لمبادئه ، ورغبته الاكيدة في مساعدة سواه ، وقد رأت ذات مرة في عينيه شعاعاً

كالشعاع المتوقد في عيني احد الانبياء وهو يقول بحماسة

انني احب ان ارى كل البشر في مأمن من الجوع والبرد ، ومن كان في مأمن من تينك المصيبتين يستطيع ان ينجيهم من شرهما وينيلهم حقهم في الحياة الرغيدة من غير نقص ولا اخلال .

وكانت مع لطفها وشدة شعورها صريحة في ابداء ارائها ، شديدة الغيرة عليها كثيرة الاخلاص لها . وكانت تعطي اوقات اللهو والسرور حقها ولا تحجم عن اظهار كل اثار الغبطة والمرح فيها . وقد كتب عنها المستر ما كدونالد في مذكراته ما يأتي : لقد كنت الجأ اليها في الازمات والشدائد وساعات الضيق فاشعر بانني لجأت الى كهف امين يهني الراحة والهدو .

وعاش الزوجان عيشة طيبة مدة خمسة عشر عاماً يتنقلان من بين لندن واريافها . ورزقا خمسة اولاد ولما درت عليهما اخلاف الرزق قاما برحلات طويلة عديدة فزارا كندا والولايات المتحدة وجنوب افريقية والهند وبقية المستعمرات البريطانية وساحا في اوروبا وزارا كل انحائها تقريباً وقليل بين من تولوا رياسة الوزارة الانكليزية من يعرف الاملاك البريطانية وبلاد العالم مثل المستر ما كدونالد لها . فانه لم يكن يقوم برحلاته للتسلية وقتل الوقت بل كان يقوم بها للدرس والاختبار وقد كان لامرأته الفضل في تلك الرحلات لانها كانت

تقتصد من نفقات الاسرة ما يكفي لنفقات الرحيل . وقد كتب المستر ما كدونالد عدة كتب ومقالات عن رحلاته هذه باسلوب يحسده عليه كبار الادباء

ووضع ما كدونالد خلال تلك المدة اساس حزب العمال مع (كيرهاردي) وتم له القيام باعمال عظيمة فهما مؤسسا هذا الحزب وموجداه وان شئت فقل ان مؤسسته هي (مرغريت ما كدونالد) التي ذللت امام زوجها كل العقبات والصعاب .

وجاءت سنة ١٩١١ فكانت سنة احزان وآلام على المستر ما كدونالد فقد توفي في اوائلها اصغر انجاله ثم اغتالت المنية والدته وفي ربيعها اختطفت يد المنون زوجته التي ماتت بسبب تسمم دمها تاركة اربعة اولاد . فكان موتها سبب تنغيص دائم في حياته تمنى معه الموت الا انه لم يلبث ان طرح اساه وحزنه جانباً وعزم على متابعة السير في الطريق التي اعدتها له تلك الرفيقة الحبيبه . وقد كتب عنها مذكرات طبعت طبعة خصوصية في لندن ضمنها اجمل عواطف وذكرياته .

« الفيحاء »

***